ثم خرج إلى أذربيجان وكان قيس مقيما على شرطته
فلما انقضى أمر الحكومة كتب علي عليه السلام إلى الأشتر
وهو يومئذ بنصيبين أما بعد فإنك ممن أستظهر
به على إقامة الدين وأقمع به نخوة الأثيم وأسد به الثغر
المخوف وقد كنت وليت محمد بن أبي بكر مصر فخرجت عليه خوارج
وهو غلام حدث السن ليس بذي تجربة للحروب فاقدم علي
لننظر فيما ينبغي واستخلف على عملك أهل الثقة والنصيحة
من أصحابك والسلام فأقبل الأشتر على علي عليه السلام واستخلف على
عمله شبيب بن عامر الأزدي فلما دخل الأشتر على علي عليه السلام
حدثه حديث مصر وخبره خبر أهلها وقال ليس لها غيرك
فاخرج إليها رحمك الله فإني لا أوصيك اكتفاء برأيك واستعن
بالله على ما أهمك واخلط الشدة باللين وارفق ما كان الرفق
أبلغ واعتزم على الشدة حين لا يغني عنك إلا الشدة فخرج
الأشتر رحمه الله من عنده فأتى رحله وأتت معاوية لعنه الله
عيونه فأخبروه بولاية الأشتر مصر فعظم ذلك عليه وقد كان
طمع في مصر وعلم أن الأشتر إذا قدم عليها كان أشد عليه من محمد
بن أبي بكر فبعث إلى رجل من أهل الخراج يثق به وقال له
إن الأشتر قد ولي مصر فإن كفيتنيه لم آخذ منك خراجا
ما بقيت وبقيت فاحتل في هلاكه ما قدرت فخرج الأشتر
حتى انتهى إلى القلزم حيث تركب السفن من مصر إلى الحجاز

فاقام به

فأقام فيه فقال له ذلك الرجل وكان المكان مكانه أيها
الأمير هذا منزل فيه طعام وعلف وأنا رجل من أهل الخراج
فأقم واسترح فأتاه بالطعام والشراب فلما شرب بهما
مات وفي رواية أخرى أن معاوية أرسل رجلا مزودين
فيهما شراب وصحب الأشتر فاستسقى الأشتر يوما فسقاه
من أحدهما ثم استسقاه يوما آخر فسقاه من الآخر
وفيه سم فشربه فمالت عنقه وطلبوا الرجل ففاتهم وفي رواية
ثالثة أن الرجل الذي أرسله معاوية بالسم مولى لآل عمر
فلم يزل المولى يذكر للأشتر فضل علي عليه السلام وبني هاشم حتى
اطمأن إليه واستأنس به فقدم الأشتر يوما ثقله أو تقدم
ثقله عليه فاستسقى ماء فقال له مولى عمر هل لك في شربة
سويق فسقاه شربة سويق فيها سم فمات وقد كان معاوية
قال لأهل الشام لما دس عليه مولى عمر ادعوا على الأشتر
فدعوا عليه فلما بلغه موته قال ألا ترون كيف استجيب
لكم وكان عمرو بن العاص يقول إن لله جنودا من عسل
قال إبراهيم فلما بلغ عليا موت الأشتر قال إنا لله
وإنا إليه راجعون والحمد لله رب العالمين اللهم إني
أحتسبه عندك فإن موته من مصائب الدهر ثم قال رحم الله
مالكا فلقد وفى بعهده وقضى نحبه ولقي ربه مع أنا قد
وطنا أنفسنا أن نصبر على كل مصيبة بعد مصيبتنا برسول الله صلى الله عليه وسلم